كل عام وأنتم بخير

مجموعة قصص للاستاذ محمود تيمور بك

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

عجيب أن أجد بين يدى — فى غير تعمد — مجموعتين من القصص المصرى فى وقت واحد .. فأعكف عليهما فى جلسات قصار على أجد فيهما متعة للنفس ولذة للقلب وسلوة للروح ومفزعاً من الحر ، فلا أريم حتى آتى على ما فيهما . هاتان المجموعتان هما « كل عام وأنتم بخير » للأستاذ محمود تيمور ، « والأعماق » للأستاذ عبد الرحمن الخميسى . ولقد قرأت المجموعة الأولى فألفيت فيها الحادثة القوية مترابطة فى قوة ، متماسكة فى دقة ، مسلسلة فى سهولة ؛ وقرأت فيها شخوصاً تتحرك وقلوباً تنبض وأرواحاً تتألق ؛ ولمست فيها التحليل النفسى الدقيق والرأى الفلسفى العميق . أما المجموعة الثانية ، فلقد أحسست وأنا اتصفحها أن ذاكرتى ترتد — رويداً رويداً — إلى أيام الطفولة الغريرة ، إلى السيدة العجوز التى كانت ترعانا وتقوم على شئوننا وتثرثر لنا — كل أمسية — بأحاديث شائقة طريفة تزوقها بالمغالاة وتطليها بالمبالغة تبهر بها السمع وتخدع العقل ، فتنشر حوالينا أخيلة رقاقة ، ملائكية حيناً وشيطانية حيناً ، تبتغى أن تقذف بنا فى متاهات ليست من الحياة فنسبح فى عوالم لذيذة آناً ومفزعة آناً . وهكذا تستطيع السيدة العجوز أن تدفعنا إلى الهدوء فى رفق ، وأن تسلط علينا رؤى تقذف بنا فى لين إلى سبات عميق . وشعرت ، وأنا أقرأ « الأعماق » أنها بعض حكايات السيدة العجوز فيها المغالاة والمبالغة والتناقض نفسه .

ولست الآن بسبيل أن أقارن بين مجموعتين من الأقاصيص ، فليس إلى المقارنة من سبيل ، لبعد الشقة واختلاف المبدأ وتناقض الهدف . وفرق ما بين تعبير قوى رصين وآخر مهلهل يتداعى . ولكن المصادفة المحضة التى جمعت الكتابين فى يدى فى وقت واحد

أما مجموعة الأستاذ تيمور فتنتظم على قصص عشر ، اتسمت جميعاً بطابع التحليل النفسى والاستقصاء العقلى . وإن الكاتب ليمرض لنوازع النفس وخلجات الضمير فيصورها فى صور رائعة جميلة . هذا المذهب — مذهب تحليل المشاعر النفسية والدفعات القلبية — ينبت فى ثنايا كل قصة فيحول بينها وبين السرد المجرد ، وهو فى ذلك كالمصور البارع يوزع اللون فى نواحى الصورة فى دقة ليضفى معانى الحياة والحركة

وليس أدل على ذلك مما جاء فى قصة « كل عام وأنتم بخير » حين تحدث المؤلف عن رجل ذرف على الأربعين من سنى حياته ، عاش عزباً يعكف على جمع الثروة ويأبى أن يبددها فى التافه أو أن يبذرها فى مالا غناء فيه ، فيحدث نفسه قائلا « هى ثروة أسهرت فيها جفنى وأسقيتها جهدى وتعهدتها بحيلتى .. أأتركها هذه الثروة نهبة لأولئك الحقدة والحساد من أقاربى الطامعين ؟ » ثم يصوره حين ينزع عن الزواج وما فى ذهنه إلا الحرص على المادة « إلا أن عقلى ينهانى عن أن أرضى بهذ الزواج الذى يهدد ثروتى ويشفى بها على الخطر .. وهل الزواج إلا نفقات إثر نفقات ، تستنزف الأموال وتهدد الثروات ؟ »

غير أنه يرى نفسه وحيداً منبوذا فيبدو أمام القارىء فى عزوبته رجلا ضائعاً مضطرب النفس يعيش فى تيه من نفسه وتيه من داره وتيه من خواطره . ولا عجب إن كان العزب — فى هذه القصة كما هو فى الحياة عامة — قلقاً لا ينعم بالهدوء ولا يسكن إلى الراحة . وأنى له أن يفعل وإن روحه لتفتقد القرار والأمان فهى تهفو إلى شىء ، عمى عليه وتتزع إلى أمر أغلق عليه ، فيطير — بعد لأى — إلى الزوجة .

وفى قصة « صراع فى الظلام » نرى الضمير الحى يغفو حيناً حين تستهويه شيطانة من الإنس هى زوجة الأب الشابة فتنشر شباكها حوالى ابن زوجها الشاب فما يقر لها قرار ولا تطيب لها نفس إلا حين يقع فى غرامها فيهوى إلى قاع الخطيئة والدنس . ثم يستيقظ الضمير بعد فترة فيقص الرجل بالزلة فينطلق يريد أن يكفر عن حماقته وغفلته بطريقة شيطانية مرذولة ، يؤمن بأن لا مسدى له عنها ، فيحرق الدار التى شب فيها وترعرع — دار أبيه وهو يردد فى صوت كأنه هذيان محموم « لا تقربوا الباب .. دعوا الدار تأكلها النار ! » . لقد حاول الفتى جهده أن يفر من الخطيئة